

الدرس الثاني عشر: الحال

تعريفه:

الحال هو الوصف الفضلة المنتصب للدلالة على هيئة صاحبها وقت حدوث الفعل، نحو: (أقبل الرجل ضاحكاً).

ودليل الحال أن تسأل "كيف؟" فإذا ساغ الجواب تكون قد وضعت إصبعك على الحال. والفرق بين الحال والصفة أن الحال تبين الهيئة وقت وقوع الفعل، وأما الصفة فإنها تتعت الموصوف قبل وقوع الفعل. مثال ذلك قولك: (أقبل الطالب النشيط) و(أقبل الطالب نشيطاً)، فقولك: (أقبل الطالب النشيط) معناه أنه اتصف بالنشاط وإن لم يكن في إقباله هذا نشيطاً، وأما قولك: (أقبل الطالب نشيطاً) معناه أنه نشيط في إقباله هذا، وقد يكون في وصفه العام غير نشيط.

ومعنى كون الحال فضلةً أنه ليس مسنداً ولا مسنداً إليه، وليس معنى ذلك أنه يصح الاستغناء عنه، إذ قد تجيء الحال غير مستغنى عنها، بل يتوقف عليها صحة المعنى نحو قوله تعالى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ)، فلو حذفنا الحال (لاعبين) لفسد المعنى أشدّ الفساد.

الاسم الذي تكون له الحال (صاحبها):

يجيء الحال من الفاعل نحو: (جاء زيد راكباً)، ومن المفعول به نحو: (أرسلت الهديةً جديدةً)، ومن الفاعل والمفعول به نحو: (قابل عليّ صديقَه مسرورين)، ومن نائب الفاعل نحو: (تؤكل الفاكهة ناضجةً)، ومن المبتدأ نحو: (الفاكهة لذيذة ناضجةً)، ومن الخبر نحو: (هذا هو الهلال طالعاً)، ومن غير ذلك.

أقسام الحال:

تتعدّد أقسام الحال بتعدّد الاعتبارات المختلفة التي يبني عليها التقسيم. ومن هذه الاعتبارات:

أولاً: الحال المنتقلة والحال اللازمة:

الأصل في الحال أن تكون منتقلة، أي لا تلازم صاحبها نحو (جاء خالد راكباً)، ف(راكباً) وصف منتقل لجواز انفكاكه عن (خالد) بأن يجيء ماشياً.

وقد تكون ملازمة لصاحبها لا تنفك عنه. وذلك في مواطن منها:

1- أن يدل عاملها على تجدد صاحبها نحو قوله تعالى: (وَوُحِّلَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا) ومعنى ذلك أن يكون عاملها، وهو الفعل أو غيره، يدل على أن صاحبها جاء إلى الوجود لأول مرة وحدث بعد أن لم يكن، فكلمة (خُلِقَ) تدل على تجدد المخلوق (الإنسان) أي استمرار أمثاله في الزمن المستقبل، و(ضعيفاً) حال لازمة إذ لا ينفك الضعف عن الإنسان. ونحوه قوله تعالى: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى)، فـ(أنثى) حال لازمة. ومنه قول الشاعر:

فجاءت به سبط العظام كأنما عمامته بين الرجال لواء

أي: إن هذه المرأة ولدته على هذه الحال من استواء القدّ وامتداد القامة حتى أن عمامته بين الرجال كاللواء في الارتفاع والعلو.

2- أن تكون مؤكدة لعاملها من حيث المعنى نحو قوله تعالى: (وَلَّى مُدْبِرًا)، فـ(مدبراً) حال مؤكدة لعاملها وهي بمعناه، إذ معنى (وَلَّى) و(أدبر) واحد. وقد تكون مؤكدة لعاملها من حيث اللفظ والمعنى نحو قوله تعالى: (وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا).

3- أن تكون الحال دالة على صفة ثابتة، أي لازمة عن طريق بعض القرائن التي يمكن التوصل إليها من السياق أو المعنى كقوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ) فإن قيام ربنا بالقسط لا ينفك عنه. وقوله: (وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا) فالاستقامة ملازمة لصراط الله سبحانه.

ثانياً: الحال الجامدة والمشتقة:

الأصل في الحال أن تكون مشتقة لأنها وصف، وقد تكون جامدة مؤولة بمشتق وذلك في مواضع منها:

1- أن تكون الحال دالة على سعر، نحو: (بَعْتُ الْقَمْحَ مَدًّا بَعَشْرَةَ قُرُوشٍ)، فـ(مدّاً) حال جامدة وهي في معنى المشتق، إذ المعنى (بِعْتُهُ مَسْعَرًا كُلُّ مَدٍّ بَعَشْرَةَ قُرُوشٍ). وقس على ذلك: (اشْتَرَيْتُ الثَّوْبَ ذِرَاعًا بَدِينَارٍ) ونحو ذلك.

2- أن تدل الحال على المفاعلة، أي المشاركة بين شخصين أو أكثر نحو (بِعْتُهُ يَدًا بِيَدٍ) أي بالمقابلة، بتأويل: متقابلين، و(كَلَّمْتَهُ فَاهَ إِلَى فِيٍّ) أي: مشافهةً، بتأويل: متشافهين.

3- أن تدلّ الحال على الترتيب نحو: (دَخَلَ الْقَوْمُ رَجُلًا رَجُلًا) أي: مترتبين. وكذا (قَرَأْتُ الْكِتَابَ كَلِمَةً كَلِمَةً). واللفظ الأول هو الحال، وذهب بعضهم إلى أنّ الثاني توكيد لفظي له.

4- أن تدلّ الحال على تشبيهه نحو (بَدَتْ قَمْرًا) أي جميلة، و(سَارَتِ الطَّيَارَةُ بَرْقًا) أي سريعةً

هذا وقد تأتي الحال الجامدة غير مؤولة بمشتق، وذلك في مواضع منها:

أ- أن تكون موصوفة كقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)، وقوله: (فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا)

ب- أن تكون دالة على عدد نحو قوله تعالى: (فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً).

ج- أن تدل على طور في التفضيل، وذلك أن يُفضّل الشيء في حال على نفسه أو غيره في حال أخرى، نحو: (خالد شاباً أنشطُ منه كهلاً) فلخالد أطوار مختلفة، منها طور الشباب وطور الكهولة، وهو في طور الشباب مفضّل على نفسه في طور الكهولة، وناحية التفضيل هي الشباب. ونحو: (الذهب قلادةٌ أجملُ منه خاتماً).

ومثال تفضيله على غيره: (الذهب قلادةٌ أجملُ من الفضة قلادةً).

ففي المثال الأول فضّلتَ الذهب حال كونه قلادة على نفسه حال كونه خاتماً، وفي المثال الثاني فضّلتَ الذهب حال كونه قلادةً على الخاتم حال كونها قلادة.

د- أن تكون الحال نوعاً من صاحبها، بمعنى أن تكون نوعاً من أنواع صاحبها المتعدّدة، نحو: (هذه أموالك ذهباً)، فالمال أنواعه متعدّدة منها الذهب. ومثله: (هذه ثروتك كتباً).

هـ- أن تكون الحال فرعاً من صاحبها، نحو: (هذه فضتك خاتماً)، فالفضة نوع والحال فرع منه.

و- أن تكون الحال أصلاً لصاحبها، نحو: (هذا خاتمك فضةً) و(تمتعتُ بالقميص حريراً).

ثالثاً: الحال المعرفة:

الأصل في الحال أن تكون معرفة لا نكرة. وقد تكون معرفة إذا صح تأويلها بنكرة نحو: (اجتهد وحدك) و(أمنتُ بالله وحده) أي: منفرداً. ونحو: (ادخلوا الأولَ فالأولَ) أي: مترتبين، و(كلمته فاه إلى في) أي مشافهةً.

رابعاً: مجيء الحال مصدراً:

حق الحال أن يكون وصفاً كاسم الفاعل واسم المفعول وغيرهما. وقد كثر مجيء الحال مصدراً نكرة لكنه ليس بمقيسٍ لمجيئه على خلاف القياس نحو قولك: (أقبل زيدٌ ركضاً). ف(ركضاً) مصدر نكرة منصوب على الحال بمعنى المشتقّ (راكضاً). ومنه قوله تعالى: (ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا بُنَيَّكَ سَعِيًّا) أي ساعيةً، وقوله: (حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا) أي كارهةً.

وللعدول عن الوصف إلى المصدر أغراض عديدة منها المبالغة، إذ المصدر يدل على الحدث المجرد، والوصف هو الحدث مع الذات. فإذا قلت: (أقبل أخوك سعياً) كان المعنى

على أن أخاك تحوّل إلى سعي ولم يبق فيه شيء من عنصر الذات، بل تحوّل إلى حدث مجرد، وهذا مبالغة. وكذلك قولك: (أقبل ركضاً) معناه أنه تحوّل إلى ركض عند إقباله.

العامل في الحال:

يحتاج الحال إلى عامل ينصبه، وهناك عدة عوامل يمكن عرضها كما يأتي:

1- الفعل: نحو (طلعت الشمس صافيةً)، أو المصدر نحو (ركوبك السيارة مسرعةً خطرٌ عليك)، أو اسم الفعل نحو (نزال مسرعاً).

2- شبه الفعل، وهي الصفات المشتقة من الفعل كاسم الفاعل نحو (خالد مسافر ركباً)، أو اسم المفعول نحو (زيد مضروب واقفاً).

3- معنى الفعل، من ذلك اسم الإشارة نحو قوله تعالى: (وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا)، فالعامل اسم الإشارة، ومعناه أشير، فهو يتضمّن معنى الفعل دون أن يشتمل على حروفه. ومن ذلك الحروف المشبهة بالفعل نحو (كأن) في قولك (كأن خالدًا مقبلاً أسدً)، فالعامل هنا الحرف المشبه بالفعل (كأن) ومعناه أشبه...

ويجوز أن تتقدّم الحال على عاملها إذا كان فعلاً متصرفاً نحو (راكضاً أقبل زيد)، أو صفة تشبه الفعل كاسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة نحو (خالد مسرعاً منطلقاً).

أما ما عدا ذلك، كأن يكون العامل فعلاً غير متصرف (جامد) أو صفة لا تشبه الفعل المتصرف (كـ"أفعل" التفضيل) أو أن يكون العامل معنوباً (وهو ما تضمّن معنى الفعل دون حروفه كأسماء الإشارة والحروف المشبهة بالفعل) فلا يجوز تقديم الحال عليه.

أنواع الحال:

1- الحال المفردة: وهي ما ليست جملة ولا شبه جملة نحو (أقبل الرجل مبتسماً).

2- الحال شبه الجملة: وهي وقوع الظرف والجار والمجرور في موضع الحال. فمثال الظرف (رأيتُ الهلالَ بين السحاب)، ومثال الجار والمجرور (غرّد البلبُلُ على الغصن).

3- الحال الجملة: وهو أن تقع الجملة الفعلية أو الاسمية موقع الحال، وتكون في محل نصب، والفعلية نحو (جاء سعيد يركض)، والاسمية نحو قوله تعالى (إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقاً وَهِيَ تَفُورٌ). وقد اجتمعا في قوله تعالى: (وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ).

ويُشترط في جملة الواقعة حالاً أن تشتمل على رابط يربطها بصاحب الحال ليكون المعنى متصلاً بين الجملتين. وهذا الرابط ثلاثة أنواع:

- أ- الضمير الذي يرجع إلى صاحب الحال نحو (تركَّتُ البحرَ أمواجه هائجةً)
ب- الواو: وتُسمى واو الحال، نحو قوله تعالى: (قَالُوا لَئِن أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ).
ج- الواو والضمير معاً نحو قوله تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ).

تطبيق:

- 1- بين أقسام الحال فيما يلي من حيث كونها منتقلة أو لازمة، أو مشتقة أو جامدة (مع التفصيل) واذكر نوعها؟

-قال تعالى: (لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى).

-قال تعالى: (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا).

-قال تعالى: (وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا).

-قال تعالى: (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا).

-قال تعالى: (وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا).

-قال تعالى: (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا).

-قال تعالى: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا).

- التمرُ بـسراً أطيبُ منه رطباً.

2- أعرب ما يلي:

قال تعالى: (لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى).

قال تعالى: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا).